الدكتور عبد القادر الشيخلي

اخلاقيات الحوار



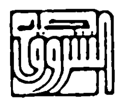
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

اخلاقيات الحوار

اخلاقيات الحوار

الدكتور عبد القادر الشيخلي

١٩٩٣



* عبد القادر الشيخلي ، اخلاقيات الحوار
* الطبعة الأولى ١٩٩٣
* الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف : ٦٢٤٣٢١ فاكس ٦١٠٠٦٥

ص. ب ٩٢٦٤٦٣ الرمز البريدي ١١١١٠

عمان – الأردن

* التوزيع : المركز العربي لتوزيع المطبوعات

ص. ب ١٣/٥٦٨٧

تلكس ٢٠٩٨٣ أسيب

بيروت / لبنان

– رقم الأجازة المتسلسل ١٩٩٣/٥/٣٣٨

٢ر١٧٧

عبد عبد القادر الشيخلي

اخلاقيات الحوار / عبد القادر الشيخلي .–

عمان : دار الشررق ، ١٩٩٣

(٩٩) ص

ر. أ (١٩٩٣/٥/٥٠٦)

١ – الاخلاق الاجتماعية – الحوار أ – العنوان

(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

مقــدمـــة

يبدو لي ان مجتمعات الوطن بحاجة قصوى الى الحوار العلمي لمعالجة ازمات ومشكلات واستشراف مستقبلاتها وافاق تطورها . ولن يصبح هذا الحوارمجديا وفعالا الا اذا ادركنا بعمق اصوله واخلاقياته ، فالمسائل الشكلية تعد احيانا جزءا لا يتجزأ من المسائل الموضوعية والمضمون الفكري .

في ضوء هذا الادراك المعرفي ، آليت على نفسي ان اقدم كل ما يضعنا على الطريق الصحيح من التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي . ولعل اخلاقيات الحوار خطوة كبيرة نحو الاتجاه السليم في

النظريات الفكرية والتطبيقات العملية ، ولا عجب فالحوار اساس الحضارة الانسانية وقد بدأ التقدم الشامل منه كما ان الفكر الفعال ينشأ وينمو من الحوار . ويلاحظ المراقب بأسف شديد ان حوار بعض اللقاءات او الندوات غير مستوف لشرائطه الموضوعية او اسسه الاخلاقية فلا يفضي الى نتائج مؤثرة او ذات تطبيق عملي . ولعل بداية الطريق : الخطوة الاولى الصحيحة ، واعتقد ان اخلاقيات الحوار تجعلنا نخدم انفسنا ونخدم الاخرين ونستثمر معطيات الديمقراطية الاجتماعية والسياسية استثمارا امثلا .

الدكتور

عبد القادر الشيخلي

ص.ب. ٧٦٣٠ حيفا

بغداد

تمهيـــد

ضرورة الاخلاق للحوار

يحتاج العالم او المشتغل في حقل الثقافة والادب ، رجلا كان ام امرأة الى الاخلاق كنهج سلوكي يوضح التزامه بقيم المجتمع الذي يجري بحوثه او تجاربه في نطاقه من اجل تطويره وارتقائه .

ويقول الامام ابو القاسم القشيري في « الرسالة القشيرية » عن علم التصوف ان المتصوف يحتاج الى قليل من العلم وكثير من الاخلاق وهو اتجاه يوضح ميل البعض الى ترجيح كفة الاخلاق على كفة العلم ،

والحقيقة ان النهل من منهل العلم مهمة يسيرة احيانا وشاقة احيانا اخرى ، فهي يسيرة اذا كان الامر يتطلب الحفظ واستظهار المعلومات والحقائق . اما الشاق في هذه المسألة فيتعلق بقدرات التحليل والاستدلال والاستنباط والقياس المنطقي وهلم جرا . الا ان الاخلاق تبقى مهمة اكثر من شاقة قياسا لما هو شاق في استيعاب العلم ذلك ان الاخلاق هي ترويض ما هو قائم في النفس وبناء الجديد في عالم الروح . وفي معظم الاحيان يكون الترويض مهمة شاقة للغاية لان الاتجاهات السلوكية قد استقرت من المصنوع الى المطبوع واصبحت عادات مالوفة لا شعورية وانتزاعها من صفتها المتبلورة عبر سنوات عديدة ليس بالامر الهين . فالعلم بهذه المثابة مهمة هينة تجاه الاخلاق ، ذلك انه يتطلب تخصيص ساعات معينة للعمل العلمي ، بحثا وتجاربا ، او قراءة وتأملا وتحليلا ، اما

الاخلاق فتعني صرف كل ساعات النهار والليل (عدا ساعات النوم) لاغراض التفكير بالصورة المثلى للسلوك الاخلاقي المطلوب . ان الاخلاق في حقيقتها واهدافها بناء اي تشييد وضع على نحو مبدع فأذا انتهى العالم من بحثه او تجاربه او عمله فلن ينتهي الاخلاقي من دوره كواضع لنموذج سلوك رفيع المستوى ، اضافة الى تهذيب سلوكه وتهذيب نفسه والعمل على استئصال مثالبه وهو في كل ذلك يصارع الشهوات والرغبات والحاجات ، تارة ينتصر وتارة اخرى يخفق الى ان يصل الى مرحلة الامساك بزمام نفسه فلا تنقاد الا الى عقله المتساومة مع عالم المثل العليا . فالحوار دون التزام بضوابط اخلاقية ادنى الى الثرثرة او التهريج او العمل الصبياني .



الفصل الاول

ماهية الحوار

ان بيان ماهية الحوار يقتضي معرفة مفهوم الحوار ، وتحديد انواعه ، واخيرا التصدي للقدرات الذاتية المؤدية الى الحوار الفعال ، وكل ذلك يجري في ثلاث فقرات مستقلة .

اولاً – مفهوم الحوار :

الحوار (او المناظرة كما تسمي ذلك العرب) : حديث شفهي يجري تبادله بين اكثر من فرد سواء في شارع ، بيت ، متنزه او مدرسة او جمعية او منتدى ... الخ .

والصورة الاخرى للحوار هي الكلام المطبوع في صحيفة او مجلة فيكون على شكل عرض وجهات نظر او تعقيبات او مدخلات .

ويعد النقد ، ايا كان مضمونه سياسيا او اجتماعيا او اقتصاديا او فكريا او ادبيا او فنيا ، حوار بين المؤلف او خالق الاثر وبين شخص اخر يدعى الناقد .

ويأخذ الحوار اهميته من خطورة او اهمية القضايا المثارة او بسبب الثقافة العميقة او المتميزة للمتحاورين او

لمراكزهم السياسية او الفكرية او الاجتماعية الحساسة .

في ضوء هذا الادراك المعرفي فأن للحوار ركنان :

الاول : وجود اكثر من محاور

والحوار مع النفس حوار ذاتي لا يعني الا فرد واحد ، وهو حوار استبطاني او روحي داخلي يبقى سرا شخصيا مالم يفصح عنه القائم به او يقم بنشره .

الثاني : وجود قضية يجري الحوار بشأنها :

فالحوار لا يتم في فراغ وانما يدور حول فكرة او موضوع يستأهل المناقشة مع الغير .

وغني عن البيان ، ان من حقوق البشر : حق الاتفاق وحق الاختلاف ، فأذا جاء من يلغي الحق الاخير فهذا هو الاستبداد المقيت لانه ينظر الى البشر كما ينظر الى مجتمع النحل ، بل ادنى من ذلك لانه يحصل اختلاف

في مجتمع النحل بين العاملات والذكور يصل الى حد الاقتتال بعد عملية تلقيح الملكة وانتفاء الحاجة – بعدئذ – للذكور.

ويقول الدكتور يحيى الجمل [1] : كوننا لا نعرف كيف نتفق اصبح امرا شائعا ولكن المشكلة الحقيقية اننا لا نعرف كيف نختلف .. فالاختلاف في الرأي ظاهرة صحيحة تعرفها كل المجتمعات (المتحضرة) الا انها تنقلب الى مأساة عندما يتحول الاختلاف الى درجة العداء والتحزب الضيق والخروج على مصالح الامة . ان القواسم المشتركة التي تؤكد صفاء النوايا في ظل الاختلاف في الرأي هي اللغة الواحدة والدين الواحد والتاريخ المشترك والمصير الواحد ، فما دمنا جميعاً نلتقي

---

(١) د. يحيى الجمل : تعالونختلف ، مجلة العربي ، نيسان (ابريل) ١٩٨٧ الكويت .

عندها فلابد من ان تكون مصالح الامة هي الغايات التي نسعى اليها بطرق مختلفة ووجهات نظر متباينة .. فالاختلاف من طبائع البشر وهم يختلفون لاسباب ابرزها اختلاف المصالح واختلاف المكونات الحضارية والثقافية مما يؤدي الى اختلاف النظرة العقلية الى الامور . وهناك ثلاثة طرق للتصدي للخلافات هي الحوار ، والتعايش ، والحرب . فأما الحوار فهو الوسيلة الاولى والاكثر اهمية وتنوعا . وقد تنسد مسالك الحوار فيرجيء المتحاورون الحوار الى جولة اخرى وفيما بين ذلك تتحقق صورة من صور التعايش يكون حذرا وقد يصل الخلاف الى صورة الصراع او الحرب» .

ويمكن اقامة ندوات من خلال التلفزة للحوار بين التيار الاصولي او السفلي او الاسلامي وبين التيار العلماني او الديمقراطي فيتعلم الناس من خلال القدرات المثقفة كيفية

الاختلاف والحوار المفتوح الهادئ دون تشنج او تشويش، ولن تنجح مثل هذه الحوارات الا في ظل الاقرار بحقيقتين:

الاولى : رغبة فريق سياسي او فكري بالعيش سلميا وطوعيا مع الفريق الاخر دون الغاء الشخصيات الايدلوجية للفريق الاخر .

الثاني : اعتراف كل فريق بان الاخر يمتلك فكر او عقيدة من الضرورة احترامها اعمالا لمبدأ حرية الفكر .

اما ان يتشنج كل فريق بالحقيقة التي مثلها ويصور حقيقته هي المطلقة وما عداها فباطل وقبض الريح، كما قال سليمان الحكيم ، او ان يلجأ الفريق الاسلامي الى القول بأنه يمثل فكر الله او عقيدة السماء بينما الفريق الاخر يمثل فكر البشر او عقيدة الارض ، ومثل هذا المستوى من التنظير يتهمه

الفريق الثاني بأنه يمثل فكر التخلف او عقيدة الرجعية المحلية فأن مثل هذا الحوار ينتهي نهاية غير سعيدة، صفوة القول في هذا الشأن ان الواقع يذهب الى ضرورة اعتراف كل فريق بحق الاخر بتبني الفكر الذي يروق له والدعوة لمبادئه بمنتهى الحرية . والفيصل الحاسم للخلاف الفكري يتمثل في صناديق الاقتراع الانتخابية ، فالبشر لهم حق اختيار او انتخاب من يمثلهم دون ضغط او خوف او استبداد ومن يتسلط اليوم قد يجد نفسه منبوذا معزولا او مقموعا مهانا بحكم قانون الفعل ورد الفعل . ومن الخير ان يتفق البشر على الحوار ويتخلوا عن سياسة الاحتراب .

ثانياً – انواع الحوار

يمكن تقسيم الحوار من منظورات متعددة ومتنوعة

ابرزها منظور الشكل ، والمضمون ، والاشخاص ، وفيما يأتي بيان موجز لذلك .

أ - تقسيم الحوار من منظور الشكل :

اذا نظرنا الى سائر انواع الحوار من زاوية الشكل ، لاحظنا ان ابرز حوار هو ذلك الحوار الهادئ ونقيضه المتشنج . فالحوار الهادئ هو الحوار الوقور، الرتيب ، الذي يصدر من انسان مثقف ثقافة موسوعية ويتحلى بدرجة عالية من الاخلاق السامية ، بينما الحوار المتشنج هو الحوار الانفعالي ، الغضوب ، الذي تتعالى فيه الصرخات وقد تستخدم فيه الألفاظ النابية ويحاول مزاوله ان يفرض رأيه بقوة الزعيق او الصراخ . وقد يلجأ الى مسك يد المقابل او الضغط بقسوة عليها لكي يجعله يرضخ لمنطقه الغاشم .

ب – تقسيم الحوار من منظور المضمون :

اذا لجأنا الى تحليل الحوارات من زاوية مضامينها النوعية للاحظنا جملة حوارات يتداخل بعضها مع البعض الاخر، كما يأتي :

١ – الحوار المتفتح والحوار المتزمت :

الحوار المتفتح هو الذي يجري من قبل انسان يملك صدر رحب وافق واع وهو واثق من نفسه ويحترم الرأي الاخر ، اما الحوار المتزمت فيزاوله فرد متعصب فكريا او منغلق على عقيدته الخاصة لا يملك مفاهيم ومعايير سوى المفاهيم المنبثقة من عقيدته والمعايير التي تتساوق مع جوهر افكاره والحوار المتزمت حبله قصير ومداه ضيق واهدافه لا تتفق مع روح العصر .

٢ – حوار الاستزادة من المعلومات والثقافة وحوار المهاترة او الأدعاء :

حينما نراقب شتى اصناف الحوارات الفكرية والسياسية والاجتماعية نجد متحاورين يهدفون الى زيادة معلوماتهم واثراء ثقافتهم وهم يقبلون على الحوار برغبة فكرية ونفسية تنم عن حب الفكر وعشق الحقيقة والعمل على استمرار التثقيف الذاتي دون توقف وبلا كلل او ملل كما نجد نقيضهم من ذوي النفوس الصغيرة او العقول الضحلة الذين لا يتحاورون الا رغبة في المهاترة او سعيا للادعاء بثقافة او فكر بينما نحن نعرف على نحو واضح انه كلما زادت ثقافة المثقف زاد تواضعا ، فالثقافة بحر عميق لاقرار له شأنها شأن الحياة بجوانبها المتعددة واركانها المتنوعة . وحوار

العلماء دائماً يكون حوار المتواضعين بينما حوار انصاف المتعلمين ينطوي على ادعاء وزعم وغرور وكبر.

٣ - حوار الحقيقة وحوار المنافع الشخصية :

ايضا ، هناك من يسعى في حواره لبلوغ الحقيقة ايا كانت ومهما كانت ، يبحث ويدرس ويحاور من اجل الحقيقة ، والحقيقة وحدها لاغير ، وهذا هو رجل العلم بمفهومه الحقيقي ، بينما هناك من يتحاور من اجل منافع شخصية كأن يسعى للكتابة لاشهار نفسه او يظهر في التلفزة من باب حب الظهور ، او يحصل على معلومات من خلال الحوارات ينتفع بها تجاريا او يوظفها لمنافعه الشخصية الضيقة .

٤ - الحوار المنتج والحوار العقيم :

مفاد الحوار المنتج : الحوار المفيد الهادف للوصول الى الحقيقة او اكتشاف جوانب جديدة او تقديم افكار بناءة في المناقشة الحرة . ومثل هذا الحوار يستند الى دعائم محددة وواضحة ، ابرزها :

٤/١ – احترام الذات واحترام الاخرين : فاحترام الذات يعني مواصلة الحوار الهادئ بعيدا عن الانفعال والغضب ، اما احترام الاخرين فيتضمن اتاحة المجال لهم على نحو ملحوظ لعرض وجهات نظرهم كما هي بمنتهى الحرية والامانة.

٤/٢ – الادراك بأن الحقيقة ليست مطلقة وانما هي نسبية ، ولا يوجد علم واحد ، او فكر محدد يمتلك كامل الحقيقة سواء عن الكون او المجتمع او الانسان وانما الحقيقة هي وليدة الاختلاف

في وجهات النظر .

٣/٤ – الايمان بأن للحوار هدف معلوم يتمثل في اقناع الغير بالفكرة او العقيدة او الاستيثاق من دقة المعلومات المستلمة . وبهذه المثابة يكون الحوار المنتج حوارا نزيها ، كيسا ، ملتزما ، موضوعيا . اما الحوار العقيم فهو يتقاطع مع ذلك اذ هو ادنى إلى حوار الطرشان او حوار المتشاجرين ولكن الشجار العدواني يجري في هذه الحالة بالكلمات ، فهو حوار قائم بين نفسيتين متباينتين او بين صاحب فكر متفتح واخر معتنق فكر مغلق ، واللبيب من يكتشف لاول وهلة اي نمط من الحوار يجري مع الغير ، فأذا اتضح له انه حوار منتج فما اسعد وامتع المواظبة عليه والتعمق به ، اما اذا اكتشف انه

حوار عقيم لاجدوى من اجرائه فليتوقف عن الاستمرار فيه حتى ولو ظهر للعيان او للغير انه مغلوب او منسحب او خاوي من الافكار الرصينة ، اذ ان الحوار العقيم يجري مع الجهلاء او المتعصبين الذين وضح نمط تفكيرهم رفض اي فكر جديد او فكرة واقعية او منطقية وانما المتعصب خزن في ذهنه جملة افكار اعتبرها بمثابة حقائق مطلقة لا يمكن الا التسليم الكامل بها .

جـ – تقسيم الحوار من منظور الاشخاص :

ان صور الحوار وفق منظور الاشخاص يمكن ان ترد بين العاقل والجاهل ، وبين الشباب والشيوخ ، وبين الخاصة والعامة ، وبين الحاكم والمحكومين ، كما يأتي :–

١ – الحوار بين العاقل والجاهل

العاقل هو المتمتع بكل قدرات العقل ومهارته اذ يستخدم طاقات العقل في التفكير والتحليل والاستنباط في تسيير شؤونه الشخصية وتعامله الموضوعي مع الاخرين .

وهناك تداخل بين العاقل وبين العالم والحليم . فالعاقل على قدر من العلم بشؤون الدنيا او الدين كما انه حائز على فضيلة الحلم لان هذه تسيّر من قبل العقل ، اما الجاهل فهو فرد محروم من نعمة العلم وقد تختلط صفة الجهل بصفة الحمق او الغباء او الطيش . لذلك فأن شخصية كل من العاقل والجاهل متباينتان فهما على طرفي نقيض في السلوك او في الاهداف او في فلسفة الحياة . والحوار بينهما شبه عقيم اذا لم يرغب الجاهل في الاستفادة من مؤهلات العالم والتخلي وبصدق عن جهله .

ويفترض في العاقل ان يتمتع بقدر من الحلم لكي يواصل حواره واقناع الجاهل بالحقيقة فأذا شعر أن حواره ضرب من العبث او كمن يصرخ في واد وينفخ في رماد فأن اعتبارات الهيبة والكرامة تقتضي الوقف عن الحوار لانه يصبح من قبيل الحوار العقيم غير المجدي .

٢ - الحوار بين الشباب والشيوخ :

يطلق على هذا الحوار مصطلح صراع الاجيال فالشباب يمثلون الحيوية والرغبة في التجديد ، بينما الشيوخ يمثلون خبرات الحياة والرغبة في الحفاظ على قيم الشعب وتراثه . اذن الشيوخ يمثلون خبرات الحياة والرغبة في الحفاظ على قيم الشعب وتراثه . اذن الشيوخ يمثلون كل الماضي ونصف الحاضر بينما الشباب يمثلون النصف الثاني من الحاضر وكل المستقبل ومن المفارقات ان هذه المعادلة خالدة ، فالمستقبل سيصبح فيما بعد

ماضيا، ومن كان في مرحلة الشباب سينضم فيما بعد الى قافلة الشيوخ وسترفع بوجهه اجيال قادمة مارفعه هو ذاته من دعاوي او مفاهيم او اهداف تجاه الجيل الاول .

وبما ان الشباب يرغبون بالتجديد ، والشيوخ يسعون للحفاظ على ما هو قائم ، والحيلولة دون التغيير الجذري فأن كل منهما يتحرك من منطلقات فكرية ومصالح اجتماعية متباينة مع الاخر تماما ويصبح الحوار بينهما وكأنه حوار عقيم ، واسارع الى القول ان هذا الاستنتاج خاطيء لانه يستند على نظرة سطحية لا تتوغل في اعماقه الحقيقة او في ثنايا الواقع فالحوار بين الجيلين حوار نافع فالشباب يحتاج الى حكمة الشيوخ القائمة على الخبرات النوعية والتجارب الاجتماعية والتحليلات الواقعية بينما هؤلاء (اعني الشيوخ) بحاجة قصوى الى حيوية الشباب وروحه الوثابة وطاقاته الجديدة والمتجددة .

وقد انتهت الامم المتقدمة الى هذه الحقيقة الاجتماعية وكيفت نظمها الدستورية والقانونية وفق هذا الواقع البشري فقسمت السلطة التشريعية فيها الى مجلسين احدهما مجلس الشيوخ او اللوردات والاخر مجلس النواب ولا يمكن لقانون ان يشرع الا بموافقة المجلسين معا على الاحكام الواردة فيه ومن ثم يصبح القانون وكأنه يغطي مصالح الجيلين حيث يستوعب حكمة الشيوخ ومصالحهم ورغبة الشباب في التغيير والتجديد .

اذن الحوار بين الطرفين حوار منتج حتى ولو تضمن اتهامات ظالمة يوجهها اي طرف للطرف الاخر فالحياة ذات جوانب متنوعة فهناك الخير والشر ، والسعادة والشقاء لذلك فأن اختلاف الاجيال امر بديهي ومألوف ولاغبار عليه ، بل ان هذا الحوار مجدي من حيث السعي لتصحيح مسيرة المجتمع واهدافه في ضوء الحقائق التي

يطرحها كل جيل وتكون ذات طبيعة موضوعية يمكن توظيفها لصالح التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي.

٣ - الحوار بين الخاصة والعامة :

لا اقصد بهذا الحوار المفهوم الارستقراطي ، كأن يكون ثمة حوار بين النبلاء وعامة الشعب او حوار بين الاشراف والرعايا ، وانما اقصد الحوار بين ارباب التخصص ومن هم بعيدين عنه ، فأذا رغب مجلس ادارة بلدية ان يقيم جسرا او طرق سريعة او مترو الانفاق وفتح حوار مفتوح مع السكان في قاعة البلدية فأن الحوار حينئذ يجري بين المتخصصين (المهندسين) وبين عامة الشعب ممن يفتقر اكثرهم للمهارات الفنية او الرؤية العلمية التي يمنحها التخصص الدقيق . وقد يبدو ان هذا الحوار عقيم الا ان هذه النظرة خاطئة فلا بأس لاهل

التخصص ان يسمعون رأيا او اراء من غيرهم غفلوا سهوا عن ادراكها . اي ان الخاصة يستفيدون من حوارهم مع العامة لانهم سيسمعون وجهات نظر او افكار يمكن غربلتها بتأن وحرص لكي يمكن استخراج المفيد منها .

ان هذا التحليل لا يعفينا من بيان الفارق النوعي بين الجهتين فالخاصة : تلتزم بنطاق الموضوع وتستخدم المناهج والمفاهيم العلمية عند الحوار ، بينما يلاحظ على العامة غياب الصفة المنهجية في حوارها والابتعاد عن الالتزام بالضوابط النظامية للحوار الفعال .

صفوة القول في هذا الشأن ، ان الحوار بين الطرفين يبقى مجديا فالخاصة يقفون على افكار العامة واهدافهم الاجتماعية بينما هؤلاءِ يقفون على طبيعة افكار المتخصصين وسوف يقتنعون عمليا بجدوى بعض افكارهم خصوصا ان العامة يطرحون المشاريع او

الاهداف ويغفلون عن ادراك صعوبات تنفيذها او عوائق تمويلها فيأتي هؤلاء ويضعون المشروع او الهدف على المحك ويبينون نسبة القدرة على تحقيقه .

٤ – الحوار بين الحاكم والمحكومين :

الحوار بين الحاكم والمحكومين ادق انواع الحوار فالحاكم يرغب بفرض رأيه او فكره وتبني المصالح الشخصية في البقاء على دسة الحكم من جهة ، وينطلق من الموارد المتاحة في اهدافه ، اي غلبة الصفة الواقعية في برنامجه الاقتصادي او الاجتماعي من جهة ثانية ، اما المحكوم فيعرض افكاراً متنوعة ويتجاهل اراءه الشخصية وقد يغلب الطابع النظري لحواره مع الفئة الحاكمة . هذه هي شبكة حركة واهداف الطرفين : الحاكم والمحكوم . ومما يزيد الامر سوءا ان الحاكم يطرح برنامجا سياسيا واقتصاديا طموحا قبل وصوله للحكم ، كما انه ينقد

النظام السابق بشدة ومغالاة فأذا وصل للحكم فأنه ينسى او يتجاهل نقداته او مشاريعه وينغمس في اليات الحكم ومنافعه المباشرة ويبدو النظام وكأنه يغير في الوجوه دون البرامج او الخطط ويبقى المحكوم محكوماً ويتغير الحاكم بينما يبقى القمع هو هو .

اذن الحوار بين الطرفين يمكن ان يكون حوارا مجديا اذا كان حوارا ديمقراطيا وسعى كل طرف بصدق وعقلانية لكي يتعاون مع الطرف الاخر ، بينما يكون حوارا بيزنطيا يستخدم للاستهلاك المحلي اذا كان الحاكم لا يهدف من وراء حواره سوى التعتيم والتضبيب وتشويش الحقائق والتنصل من الخطط التي طرحها في برنامجه الانتخابي .

يمكن قياس ديمقراطية اي نظام سياسي من خلال طبيعة الحوار الذي يجري بين الحاكم والمحكومين فكلما احترم

هذا الحوار ونزل عند ارادة السلطة التشريعية او ابناء الشعب كان النظام ديمقراطيا بحق وحقيقة .

ثالثاً – تنمية القدرات الذاتية على الحوار :

القدرات الذاتية هي القدرات العقلية والنفسية . فالقدرات الاولى هي قدرات ذات جانبين :

الاول – ابتداع المضمون : اي ابتكار الافكار ، او تداولها على نحو متدفق ، وهذا يتطلب خزين علمي او فقهي لن يتأتى الا بالاستمرار والمواظبة على التثقيف الذاتي المعمق او الموسوعي .

والثاني – يتعلق بالصياغة المنهجية : وهي تناول الافكار وفق اشكال سليمة كالربط العضوي بين الاسباب والنتائج . او تجميع الظواهر المتقاربة او المتجاورة وصبها في وعاء واحد لكي يتم تناولها وفق منهج واحد ، او

ملاحظة عناصر التباين والتماثل بين هذه الظواهر .

فالصياغة المنهجية هي عملية هندسية تهدف الى ترشيق البنيان او زيادة جمالياته او اظهار جوهره على نحو ابرز .

اما القدرات النفسية في مجال الحوار فهي قدرات سلوكية تكشف عن استعدادات جادة لعمل الحوار او الاستمرار في أجرائه ، ويتمثل كل ذلك في الصدر الرحب لسماع الرأي والرأي الاخر وتبلغ القدرات النفسية اوج نضجها في تبني وتطبيق اخلاقيات الحوار وهي :

استعدادات المحاور للاستماع الصبور لاراء الغير وحق الطرف الاخر في عرض وجهات نظره او افكاره كاملة غير منقوصة وبمنتهى الحرية وكذلك الاستعداد لتبني اي رأي اخر ثبتت مصداقيتـه او واقعيته او سلامته . ومثل

هذه القدرات تتم عن طريق ضبط النفس وتدريبها على هجران الانفعال والتأني عن الغضب ، والحرص على الاصغاء الجاد لكلام الاخر كصورة من صور اقدام رأي الاخر وحقه في التعبير الكامل عن وجهة نظره بكل الوسائل المتاحة .

وما دمنا منحنا الغير الفرصة والمجال الكافيين للتعبير عن افكاره فسيكون لدينا حق مكتسب وذلك بأن يتيح لنا الغير الفرصة والمجال كذلك وكأننا دربناه تدريبا عمليا على احترام وجود الغير وخصوصياته وحقه في تبني ما يراه من افكار خاصة .



الفصل الثاني

عوائق الحوار العلمي

يتعرض الحوار شأنه شأن اي نشاط اجتماعي لعوائق تصادفه وصعوبات يخلقها بعض المتحاورين . وهذه العوائق والصعوبات قد تكون شخصية ، او موضوعية.

أولاً – العوائق الشخصية

هناك تصرفات قد يقترفها طرف واحد من طرفي الحوار ،تؤدي الى افقاد الحوار جدواه ومن ثم لن يبلغ اهدافه ، ومن قبيل ذلك : الثرثرة ، والاطناب في الكلام ، واللف والدوران ، والابتعاد عن الوضوح في العرض ، وغياب الادلة والبراهين ، واخفاء جزء من الحقيقة ، والغضب والانفعال ، والتعصب الشديد ، وفيما يأتي بيان موجز لكل من هذه الفقرات الفرعية .

١ – الثرثرة :

تعني الثرثرة الرغبة في الكلام من اجل الكلام ، والثرثار لايهدف الا الى ابراز شخصيته او فرضها على الغير وكأنه حكم على الغير بعقوبة الاصغاء الكامل للكلام الفارغ . ويتشتت الكلام الذي يمثل جوهر الثرثرة ويذهب مذاهب شتى فمن موضوعات سياسية الى

اجتماعية الى اقتصادية دون ان يتطلب الحوار هذا الانتقال في الكلام . وحينما يدخل انسان في حوار مع اخر ثرثار يجد نفسه في مأزق لا يحسد عليه خصوصا وان الثرثرة من الناحية الفسيولوجية هي مرض عقلي ، ولذلك تجد العجائز او من يشعر بعقدة الاضطهاد يمارس ذلك على نطاق واسع .

فإذا استطاع المتحاور ايقاف الثرثار عند حده وابقائه في صلب موضوع الحوار فيمكن المواصلة معه ، اما اذا اخفق في الحد من ثرثرته فإن الحوار معه يصبح غير مجدي .

٢ – الاطناب في الكلام .

يهتم بعض الافراد كثيرا بالصياغة اللفظية للفكرة او الرأي ، كما انه يولي عناية خاصة بالبيان والبديع والطباق والجناس فينسى جوهر الفكرة ويلهث وراء

شكلياتها والحقيقة ان هناك تناسب حقيقي بين الشكل والمضمون ولا يمكن ان يختل اي منهما على حساب الاخر فإذا اختل فهذا مساس بحق الجانب الثاني ، وذلك ان للمضمون لباسه او شكله الملائم لخصائصه النوعية ، كذلك لكل شكل او مظهر مضمونه النوعي الخاص به .

فإذا اتفق ان واجهت في الحوار فردا يطنب في الكلام فأعلم انه يهتم بشكل الفكرة اكثر من اهتمامه بمضمونها او موضوعها . والحقيقة ان الاطناب لا ينصرف فقط لاستخدام الالفاظ الطنانة والمصطلحات الرنانة وانما يمتد لدى بعض الافراد الى استخدام الصوت الجهوري والتعمد بالضغط على بعض الكلمات او تجسيم صوتي للكلمات الاخيرة من الجملة فيبدو الافتعال في الكلام واضحا . وبما ان البشر يختلفون في سلوكهم وشخصياتهم فأن من يلج عالم الحوار سيجد امامه احيانا

من يطنب في الكلام وهي عادة اعتادها هذا البعض لغرض تزويق الكلام وتنميقه وهو امر اذا كان يلائم عالم الادب فأنه لا يلائم العلم .

٣ - اللف والدوران :

قد تحاور فردا فتجده يلف ويدور حول الموضوع ، ويأبى الدخول في صلب الموضوع قصدا وذلك لغرض التهرب من مواجهة حقائق معينة او الاعتراف بشيء لابد من الاعتراف به . ويحاول المحاور اعادة هذا الى جادة الصواب والكف عن تضييع الوقت بمثل هذا الاسلوب . والحقيقة ان مثل هذا النهج لا يخلو من خبث لان من يتبعه يهدف الى تحقيق غاية معينة هي التعميسة عن الحقيقة او ايصال معلومات ناقصة .

٤ - الابتعاد عن الوضوح في العرض :

هذا النهج يشبه النهج السابق من حيث الهدف الا

انه يختلف عنه من حيث الوسيلة او الشكل ، فهنا يلجأ المتحاور الى الغموض والابهام لكي يشعر الاخرين بأهميته الفكرية او لزيادة وزنه الثقافي دون وجه حق . ومن يفتقر الى عمق في الافكار او كثافة في المعلومات يلجأ الى العرض المبهم الذي يثير اللبس . فالغموض غموضان : الاول غموض حقيقي يعبر عن عمق في الافكار المعروضة اذ يحدد زواياها ودهاليزها وجوانبها غير المطروحة وهذا هو الفكر الفلسفي لعمانوئل كانط في كتابه : نقد العقل الجدلي او جان بول سارتر في كتابه الوجود والعدم ، مثلاً . وهناك غموض مفتعل يلجأ اليه صغار الكتاب او انصاف المتعلمين او الذين دخلوا عالم الادب حديثا ، فما ان ينشر لهم كتابا او مقالة حتى تصوروا ان الدنيا ستخضع لهم وان دولة الفكر او الادب دانت لهم . ولن يستطيع المحاور الموضوعي والنزيه ان

يتحاور مع فرد لا يرغب بعض افكاره بوضوح وجلاء كاف . فالافكار اما ان تكون محددة وبيّنة وحينئذ تكون قابلة للحوار او ان تكون افكار غامضة غموضا مصطنعا وانئذ تصبح عصية على الحوار العلمي الفعّال .

٥ – غياب الادلة والبراهين في الحوار المطروح :

بعض المتحاورين يطلق الكلام على عواهنه ، اي دون دليل مادي او مستند منطقي او برهان عملي . فالكلام عملية سهلة اذا نظرنا اليها كحركة ميكانيكية للسان او ان الكلام يوزن بجوهره ، فإذا تضمن رأيا او فكرة او وجهة نظر شاذة او تحتاج لاثبات او دليل فمن حق المتحاور الاخر ان يطلب منه تقديم ما يحول هذا الكلام الى واقع او حقيقة . ولا شك ان الادلة والبراهين تعد بمثابة ضوابط نظامية للفكرة او الرأي تحوله من كلام عام او غامض الى كلام مستند الى دليل عملي او برهان

منطقي . ومن حق المتحاور ان يطالب الجانب الاخر بما يؤيد افكاره او اراءه وذلك لكي يتحاورا على ارض صلبة من الحقائق او الوقائع .

٦ – اخفاء جزء جوهري من الحقيقة لاغراض التعمية او التضبيب :

يعمد بعض المتحاورين الى اخفاء جزء جوهري من الحقيقة المعروضة لغرض التعمية على الطرف المقابل او اسداء ستار من الضباب على الواقعة او الفكرة كي لا ترى بوضوح او تدرك عناصرها الداخلية كافة .

ان هذه السياسة التي ينفذها بعض المتحاورين تهدف الى بناء موقف لدى الاخر يخالف الموقف الذي سيكون عليه في حالة عرض الحقيقة كاملة دون نقصان . وهي سياسة ايضا متعلقة بالنزاهة وبأخلاقيات الحوار التي تتطلب الدقة والامانة العلمية .

٧ – الغضب والانفعال :

الهدوء من الزم اللزوميات لمناخ الحوار العلمي وهذا يعني تحلي المحاور برباطة الجأش والسيطرة على انفعالاته ، فالانسان كوم من الاعصاب والاحاسيس ، وهو لن يستطيع منع نفسه من رد الفعل اذا كان الفعل جائما او شديدا وقديما قال الامام الشافعي : « من استغضب ولم يغضب فهو حمار »[1] بيد أن الحوار العلمي بحاجة قصوى الى ضبط النفس والهيمنة على الانفعالات ، فإذا غضب المتحاور الاخر او انفعل انفعالا دون مبرر فما على المتحاور الا ان يوقف حواره الى وقت اخر حيث تبرد الاعصاب وتهدأ الخواطر وتزول الانفعالات.

---

(١) ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ، فصل الغضب .

٨ – التعصب الشديد :

هذا العوق هو اكبر العوائق القائمة في عالم الحوار، فكل اشكال العوق وانواعه مما يمكن معالجته بسهولة ويسر اما التعصب فهو ابو الافات الفكرية والاجتماعية . فالحوار يصعب مع المحاور المتعصب لرأيه تعصبا اعمى فهو جامد عند افكاره ورافض لكل فكر نقيض . اذ انه يستخدم مفاهيم غير مقبولة في الافكار الاخرى كما انه يستعمل معايير ومقاييس غير مقبولة الا في ظل فكرة المتعصب . ومن الضرورة اذا واصلت الحوار مع متحاور متعصب دون ان تحرز تقدما يذكر ان تتحلى بالصبر ودون ان تفقد رباطة جأشك او يساورك اليأس والقنوط فمتغيرات الحياة ووجود مصالح لا يمكن تجاهلها تدفع المتعصب الى ان يعيد النظر في افكاره في ضوء المتغيرات والمصالح . اما اذا اصر على رأيه المتعصب

وفكرة المتزمت فلا مجال لاستئناف الحوار معه ومن الضرورة قطعه او تأجيله الى حين بعيد . فالفرد المتعصب لم يتعصب لفكره بين ليلة وضحاها وانما السنين ساهمت في بلورة تعصبه ولن يقدر حوار واحد ان يغيره . وغير خاف ان التعصب اما ان ينطلق من موقع الاستبداد السياسي او الاجتماعي او انه تعبير عن فكر يرفض الديمقراطية كنظام متكامل وفلسفة للحياة .

ثانياً – عوائق موضوعية

ان العوائق الموضوعية عديدة ، ابرزها : الضوضاء والتشويش ، وتباين المفاهيم واختلاف الاجيال ، وفيما يأتي تفصيل موجز عن ذلك .

١ – الضوضاء والتشويش :

تجعل الضوضاء والتشويش اما في القاعة التي يقام

فيها الحوار كأن يعمد بعض الغوغاء او الرعاع لايقاف عجلة الحوار السياسي او الاجتماعي ، او تكون في القاعة اجهزة يصدر منها الضوضاء كجهاز المذياع او التلفزة او ماكنة تكييف تعمل بصوت عال . او يتصل المحاور باخر هاتفيا فتكون الخطوط الهاتفية غير صافية لاسباب فنية . والخلاصة ان اي ضوضاء او تشويش يؤثر على العملية الحوارية تأثيرا مباشراً .

٢ – تباين المفاهيم :

لكل علم مفاهيمه الخاصة به ، كما ان اي مصطلح يختلف مضمونه من علم لاخر ، يضاف الى ما تقدم ان بعض الفلاسفة يعطي معاني خاصة لمفاهيم يستخدمها غيره من الفلاسفة بمعاني اخرى . وهذه البلبلة في عالم المفاهيم تؤثر على سير الحوار ، الامر الذي يتطلب من كل باحث او كاتب ان يحدد مفاهيمه قبل الدخول في

صلب الموضوع . لذلك يقتضي الامرِ قبل البدء بالحوار ان يحدد كل طرف معنى المصطلح او المفهوم الذي يستخدمه لغرض ان يعرف الطرف الاخر اسلوب تفكير الاول والغايات الفكرية او العلمية التي يسعى اليها . ويحصل مثلا ان يجري حوار في الصحف او المجلات الفكرية والعلمية والادبية حول مفاهيم متداولة واذا بأحد المتحاورين يحدد معنى للمفهوم الذي استخدمه يختلف عن المعنى المألوف الذي قصده المتحاور الاول .

٣ – اختلاف الاجيال :

هذه مسألة جرى التطرق اليها سابقا ، واضيف هنا ان تباين عقلية الاجيال ، واختلاف مصالحها وتباعد فلسفاتها نحو الحياة يجعل من الحوار بينها وكأنه معركة بين متحاربين كلٍ منهم يحاول اخماد انفاس الاخر . وهو امر يعني ان الحوار انطلق في بؤرة خانقة ، او في مناخ

مسموم فالحوار بين الاجيال اذا استند الى اسس موضوعية وجرى الالتزام في نطاقه بأخلاقيات الحوار العلمي حوار مفيد وينتفع منه كل جيل على حدة اذ يزداد معرفة ومعلومات وخبرة . وهناك مصلحة حقيقية جادة لقيام هذا الحوار واستمراره فيما اذا التزم الاسس الموضوعية التي جرى بيانها قبل قليل ، اما اذا كان حوارا منعزلا قائما على اتهام الشيوخ للشباب بالطيش وعدم الشعور بالمسؤولية العامة ، واتهام الشباب للشيوخ بالتسلط والجمود فإن هذا الحوار لن يتعدى مجال الاتهامات التي ليس من الصعوبة تبيان بطلانها فلا هؤلاء ينطبق عليهم هذا الاتهام ولا هؤلاء ينطبق عليهم ذلك الاتهام ومن السهولة اطلاق الاتهامات الا ان الحوارات التي تسودها مثل هذه النزعة هي حوارات جرباء .

الفصل الثالث

المحددات التنظيمية للحوار الفعّال

يفترض الا يجري الحوار ارتجالا او اعتباطا ، خصوصا اذا كان حوارا بين مدرستين فكريتين او اتجاهين فلسفيين او قطبين متنافرين من اقطاب العلم او الادب او الفن وانما تستلزم الضرورة العلمية وجود ضوابط نظامية تحكم سير الحوار وهذه الضوابط تحدد من جريان الحوار مجرى عشوائيا لذلك اسميها المحددات التنظيمية للحوار الفعال . ويمكن الكلام بهذا الصدد عن اعداد خطة للحوار ، وبيان مقومات المناخ الصحي للحوار الفعال ، وسيجري الكلام عن هذين الموضوعين بفقرتين مستقلتين .

اولاً : اعداد خطة للحوار الفعّال :

خطة الحوار بمثابة مذكرة مكتوبة للتفاهم . والقيام بأعداد الخطة يقتضي اللجوء الى اربع خطوات هي تحديد الموضوع ، وتحديد المفاهيم ، وتحديد الهدف ، وتحديد الاليات وفيما يأتي تفصيل مناسب وموجز لذلك .

أ - تحديد الموضوع :

موضوع الحوار هو جوهر الحوار ، وتحديده يكتسب في بداية الامر الاهمية العظمى . وكلما جرى الاتفاق على ذلك كان الحوار معلوما وواضحا للاطراف المشتركة فيه او للمراقبين . وليس من الضرورة ان تكون الموضوعات معاصرة ، فأختيار الموضوعات المستقلة يكتسب الان اهمية حتى من دوائر وخبراء منظمة الامم المتحدة وهيئاتها الدولية المتخصصة .

ب – تحديد المفاهيم :

من الضرورة للمتحاورين ان يتفقوا على معاني المفاهيم او المصطلحات التي سيستخدمونها في الحوار قبل اجرائه . ولعل مثل هذه الخطوة لن تسهل عمليات الحوار ابتداء فحسب وانما ستعمل على استمراره الى حين بلوغ اهدافه .

فالفقرتان الاولى والحالية بمثابة تعبيد الطريق نحو الحوار الفعّال .

جـ – تحديد الهدف :

تحديد هدف الحوار ركن من اركان الحوار وطالما كان الحوار جادا وصادقا ونافعا فلابد وان يحدد له هدف وان كان ضمنيا . اذن يمكن الاشارة صراحة الى هدف الحوار المعلن كما يمكن استنباطه من خلال جدية عملية

الحوار وحرص المتحاورين على اتمامه ومهما يكن من امر، فإن هدف الحوار لا يخرج عن واحد أو أكثر من الاهداف التالية :-

١ - ايجاد قاعدة للتعاون الفكري .

٢ - وضع نظريات علمية حول الواقع السائد .

٣ - الرغبة في تخطي حالة العقم الفكري ، اي تجاوز ثقافة البعد الواحد او المذهب المتسلط السائد.

٤ - الرغبة في تخطي حالة الانغلاق الفكري ، اي تجاوز التعصب المذهبي او الفكري او السياسي او الاجتماعي .

د - تحديد الاليات :

اليات او اجراءات الحوار ذات اهمية تنظيمية اضافة الى انها ادوات بلوغ الحوار مسعاه النهائي . ومن

قبيل ذلك :

١ – ضرورة التأكد من دقة المعلومات المعروضة للحوار :

فلا تشيد علاقة حوارية قصيرة ام طويلة دون أن تستند على معلومات دقيقة وامينة وكاملة . فالحوار المبني على معلومات مشكوك فيها لا يمكن ان يستمر لان اي طرف من اطراف الحوار سيساوره ريب من جدوى مثل هذا الحوار .

٢ – ضرورة مناقشة القضايا دون ان يكون في الذهن قرار مسبق او احكام ثابتة او مواقف صارمة:

ان من يستعد للحوار يكون مستعدا من باب اولى لتعديل معلوماته العلمية او بتغيير قناعاته الفكرية ولن

يستطيع ذلك اذا هيمنت على ذهنه قرارات مسبقة اقتنع بها وهو غير مستعد للتخلي عنها . والحقيقة ان المرونة في الحوار او الشخصية العلمية المرنة تتطلب نزع القرارات المسبقة من الذهن والاستعداد لتبني اي قرار جديد تثبت الوقائع او المنطق صحته او سلامته .

٣ - ضرورة الاستئناس بذوي الخبرة المعمقة :

يتطلب بعض القضايا الجوهرية في الحوار العلمي الاستعانة باراء ومشورات الخبراء او المتخصصين . فالحوار الاجتماعي قد يتضمن جوانب تشريعية وهنا لابد من الاستعانة بالعاملين في حقل القانون من فقهاء او قضاة او محامين . كذلك الحوار السياسي قد يتضمن جوانب اقتصادية دقيقة ، وهنا يتعين الاستعانة بالعاملين في حقول الاقتصاد والمال لغرض القاء اضواء بما فيه الاكتفاء على الجوانب الفنية من الموضوع .

٤ – استخدام المناهج العلمية في المنطق اثناء الحوار

فالشيء اما ان يكون سبب او نتيجة في وقت محدد او بالنسبة لموقف معين او حيال مشكلة بذاتها . وليس هناك طلاقا كاثوليكيا بين الطرفين اذ يمكن ان يتبادل السبب والنتيجة الادوار بحكم المتغيرات الجديدة او بالنسبة لحقائق متقاربة او مجاورة .

وكلما حرص اطراف الحوار على استخدام مناهج العلم في التفكير والتحليل والاستنباط كان حوارهم عقلانيا ورشيدا وواضحا مؤديا الى نتائج بينه .

٥ – ترتيب الحوار خطوة خطوة وبناء حقائق من الجزئيات المتفق عليها في الحوار :

ان التوصل الى حقائق جزئية او مبادئ متفق عليها يمهد الطريق لمواصفة الحوار نحو افاق اخرى . واحيانا

يكون الحوار شاقا خصوصا اذا كان حوارا سياسيا او حوارا فلسفيا الا ان اي خطوة يجري الاتفاق بشأنها تعد مكتسبا فكريا من مكاسب الحوار الذي جرى التخطيط له بعناية .

ثانيا : مقومات المناخ الصحي للحوار الفعال

يمكن الكلام كثيرا عن المقومات الاساسية التي تشكل مناخا صحيا للحوار المفتوح او الفعال ولكن الدقة العلمية تتطلب الكلام عن ضرورة التخلي عن النرجسية وضرورة الايمان بحرية الفكر ، ومراعاة اساسيات فن الاقناع.

أ- ضرورة التخلي عن النرجسية :

ان لجوء المثقف الى رؤيةِ الاخرين بمنظار معتم او ضيق او تجاهل رؤيتهم بتاتا لميله عدم قراءة اعمالهم او عدم

الاعتراف بتفوقهم او بمهاراتهم الفكرية انما هي سياسة نرجسية ذميمة لابد من التخلي عنها . ان بعض المثقفين او الكتاب للاسف الشديد لا يقرأ من الصحف او المجلات الا مقالاته المنشورة فيها اما مقالات الاخرين فتبدو وكأنها لا تعنيه من قريب او من بعيد . في ضوء هذه الحقيقة المرة في واقعنا الثقافي العربي يتضح لنا بما لايدع مجالاً للشك ضعف الحوار واختناق مسيرته وغياب السجال والنقاش الفلسفي عن واقعنا الفكري حمالاً يشجع على التقدم الثقافي .

والحقيقة ان المثقف بحكم عمله الكتابي فإن التزاماته الاجتماعية ضعيفة ، كما يفسر ابداعه تفسيرا ذاتيا يفوق هجمة مقارنته بإبداع الاخرين في العالم ومما يؤسف له حقا ان حالات التواضع في الشخصية او الاحكام القيمة تكاد ان تكون قليلة لذلك فإن اخلاقيات الحوار توجب

التخلي عن النرجسية لانها مرض نفسي من غير المرغوب فيه ان يهيمن على القائمين على مرافق العلم او الادب او الفن . ومن الضرورة ايضا بالنسبة لاطراف الحوار لكي يصبح حوارهم علميا وفعالا ان يتخلوا عن سياسة تعظيم الانا او تضخيم الذات لسبب بسيط مفاده ان هذه السياسة غير مجدية وليس هناك من سبب منطقي واحد يبرر اعتناقها من قبل فرد يحترم انسانيته وشخصيته كما يحترم انسانيات وشخصيات الاخرين .

ب – ضرورة الايمان بحرية الفكر :

مفاد الايمان بالحرية الفكرية : حق الاخرين في قول ما يقولونه والادلاء بما يشاؤون واثبات قدراتهم . والاعتراف بأختلافي فكريا عنهم واختلافهم نفسيا عني . وهذا الاختلاف لا يفسد مودة بل بالعكس فالديمقراطية هي حق الاختلاف بين الناس وسيادة التنوع في الافكار

والثقافات والحضارات ضمن وحدة النوع الانساني .

ولا شك ان فكر الاخر امتداد لفكري مهما بدا مناقضا له اذ ان الحقيقة ليست مطلقة او واحدة او جامدة وانما هي نسبية كما ان المواقع عبارة عن مجموعة من التناقضات الاجتماعية والطبيعية المتصارعة حيناً والمتالفة حينا اخر . وغني عن البيان ان مسيرة الفكر في تاريخ البشرية هي مسيرة الافكار المتصارعة والفلسفات المتنافرة والثقافات بشقيها المادي والروحي ، وتجاهل مثل هذه الحقيقة يعد تزمتاً يصل الى حد الاستعباط ، وبما ان المثقف، ايا كان مستواه الفكري او ميوله الايديولوجية ، يتعين الا يمارس سياسة تجاهل الحقيقة الناصعة فإن النظر للامور من منظار المصلحة الشخصية الضيقة او الذات المتمركزة اكثر من اللزوم يضعه في مثل هذا الموقف الشاذ وفق منظور مبادئ الاخلاق المثلى .

ومن المؤسف حقا ان يؤمن المثقف بالديمقراطية قولا الا انه ينأى عن ممارستها عملا ويتجاهلها في التطبيق وهذا هو السبب الذي يجعل العلاقات بين المثقفين علاقات غير ديمقراطية . وبما ان حرفتهم او مهنتهم تجعلهم قدوة للاخرين فعليهم اذن الايمان بالحرية الفكرية وهو الجانب الذي يهم مباشرة من الديمقراطية - قولا وحقا وصدقا وعملا .

جـ - ضرورة مراعاة اساسيات فن الاقناع :

يعني فن الاقناع ترويج الرأي او الفكرة وجعل الغير يؤمن بها كحقيقة او واقع لا يمكن تجاهله . وكلما تمكن الفرد من مهارات الاقناع في الجدل والحوار عد شخصا ناجحاً او متفوقاً في مجال الحوار الفعال .

وهناك اساسيات لفن الاقناع اعرض ابرزها :

١ - ضرورة الثقة بالنفس عند الحوار :

فالمحاور يؤمن بقدراته العقلية والنفسية لكي يدير حوارا ناجحا . ومثل هذه الثقة ضرورية للتخلي عن عقدة الخجل او التردد كما انها ضرورية للابداع في مجال الحوار .

٢ - ضرورة الحوار بهدوء وروية

اذ ان سيادة الانفعال او التوتر النفسي في الحوار يعني فشله مقدما ولا داع للاستمرار فيه بل ان ضرر الحوار الذي يسوده الانفعال العاطفي اكثر من نفعه .

٣ - ضرورة المحاورة بمودة واحترام

فالكلمة الطيبة صدقة حسب قول الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن جاء للحوار جاء ليقنع او يقتنع ولم يجيء للاحتراب او للاعتداء . وكلما وفر المتحاور مودة

اكثر واحترام اعمق للمتحاور الاخر كان استمرار الحوار اكيدا وناجحا .

٤ – ضرورة استخدام اقل الكلمات المعدة اعدادا دقيقا للتعبير عن الحقيقة او الواقع كما من الضرورة اصطفاء افضل الالفاظ واجزائها وقعا في النفس اي البحث عن احسن الكلمات عند النطق .

٥ – ضرورة تقديم الحجة القوية والدليل الساطع والبرهان الواضح والمستند الدافع :

فإذا كان لديك ست حجج نصفها قوية والنصف الاخر منها ضعيفة ، فمن الافضل تقديم الحجج القوية وعدم التهافت على الحجج الضعيفة او ذات السند الضعيف .

٦ – ضرورة اتساق الافكار المعروضة وانسجام

المفاهيم المطورحة وعدم التناقض في القول فالقول بأن ، «الاشتراكية هي عدالة اجتماعية ثم القول بعدئذ من الشخص ذاته بأن الاشتراكية تنطوي على ظلم اجتماعي لانها تساوي بين الفقير والغني » هي من قبيل التناقض في القول والتعارض في الحكم . كما ان من يقول بأن « المرأة هي هبة الله واجمل ما في الحياة » ثم القول بأن « النساء خبيثات » .. هي من قبيل التناقض بين القولين مما يضعف من الشخصية الفكرية للمحاور الذي يتبناها .

الفصل الرابع
ادب الحوار

اختلاف الناس شيعا واحزابا ، ظاهرة مألوفة ملازمة للمجتمع المدني . فهناك مصالحَ اقتصادية او مالية او سياسية او اجتماعية ، كما ان وراء هذا الاختلاف اتجاهات نفسية قائمة على الانانية او الغيرة او الحسد او حب التسلط . الا انه يتعين الا يفسد هذا الاختلاف للمحبة قضية ، فالمجتمع يتطور والعلاقات الاجتماعية تسير بانتظام.

واذا استاء فرد من فرد اخر فلا يستطيع الاستمرار في

موقفه مع الجميع لان هناك الكثير مما لا يعجبنا لدى الاخرين الا ان ضرورات الاجتماع والحياة تتطلب استمرار العلاقات الاجتماعية وانتظامها . ومن هنا نشأت اخلاقيات الحوار وضرورة اخضاع الحوار الى ضوابط تنظيمية تفيد كل اطراف الحوار من جهة وتحد من تصرفات المسيء او الراغب بالاساءة عند استخدامه الحوار للانتقاص من الاخرين او الاعتداء المعنوي عليهم من جهة ثانية . فليس مقبولا ان يجري الحوار بكلام عشوائي او باتهامات مجهلة او برغبة في اذلال الاخر او بفرض افكاره او أرائه على الاخر لاعتبارات طائفية او عشائرية او سياسية او اي اعتبار غير موضوعي اخر .

ان الكلام عن ادب الحوار يجعلني اركز على الفقرات الاربع الاتية : احترام شخصية المحاور ، المرونة والتسامح : سريان الحوار الديمقراطي ، حسن الكلام ،

حسن الصمت والاصغاء .

اولا : احترام شخصية المحاور

ان الف باء ادب الحوار : احترام شخصية المحاور ، ومن مظاهر ذلك :

اهتمام المحاور بالمحاور الاخر اهتماما وديا سواء بالانتباه لكلامه والاصغاء اليه او البقاء ناظرا اليه وعدم اللجوء الى تجاهله او الشرود او الانشغال بشخص اخر او بمادة او شيء تحت النظر او قريب .

تحاشي تحقير الاخر او اللجوء الى النقد الشخصي (سيرة السلوك الفردي او العائلي) وتجنب استخدام اليد : دفعا او ضغطا او تهديدا .

ضرورة التواضع واللجوء الى الدعابة البريئة اذا اقتضى الحال كنوع من انواع تلطيف مناخ الحوار او

تبريده اذا كان ساخنا .

فسح المجال كاملا للاخر للدفاع عن وجهة نظره كاملة وبمنتهى الحرية . وهذا يعني ضرورة احترام الرأي الاخر عن طريق الاعتراف بوجوده والابتعاد عن اضطهاده والتعامل معه بصدر رحب عن طريق تهيئة الوقت الكافي للتفكير به .ومناقشته مناقشة موضوعية مجردة . وقد جاء في بعض كتب التراث ، ان : اجتمع متكلمان ، قال احدهما : هل لك في المناظرة ؟ فقال : على شرائط : ان لاتغضب ولا تعجب ، ولا تشغب ولا تحكم ولا تقبل على غيري وانا اكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ، وتجوز لنفسك تأويل ايه على مذهبك الا اذا جوزت تأويل مثلها على مذهبي . وعلى ان لا تؤثر التصادم وتنقاد للتعارف ، وعلى ان كلا منا يبني مناظرته على ان الحق ضالته والرشد غايته .

اذن يبدأ ادب الحوار باحترام ادمية الاخر وافكاره امّا المهاترة فهي تخرج عن ذلك ، ويمكن ضرب مثل عليها بقصة الصدام الذي حصل بين الدوس هكسلي والاسقف ويلبر فورس ، اسقف اكسفورد اثناء اجتماع الرابطة البريطانية في اكسفورد عام ١٨٦٠ فقد نهض ويلبر فورس ، واخذ يهاجم نظرية داروين حول اصل الانواع وينقدها في اسلوب خطابي لاذع ، والتفت في نهاية خطابه الى الاستاذ هكسلي ، قائلا في سخرية :

– اود ان اسأل الاستاذ هكسلي اذا كان ينتمي الى القردة من ناحية ابيه او ناحية امه ؟ فرد هكسلي عليه بقوله :

– ليس للانسان ان تجمل من ان يكون قردا ، واذا كان لي جد اخجل من ان اذكره فلابد وان يكون هذا الجد انسان له عقل قلق متقلب وتفكير غير مستقر ولا يقنع بالنجاح في مجال نشاطه الخاص ، وانما يلقي

بنفسه في المشاكل العلمية التي ليس له بها دراية او معرفة حقيقية، وكل ما يفلح في ان يفعله هو ان يضفي عليه ستارا من الغموض عن طريق الخطابة الجوفاء . وان يصرف انتباه السامعين عن النقطة موضوع الخلاف وذلك عن طريق اللجوء الى الاستطرادات البليغة والاعتماد في خفة ومهارة على اثارة المشاعر الدينية [1] .

ثانيا : المرونة والتسامح شريان الحوار الديمقراطي

قد يكون اي محاور على خطأ سواء في فكرته او المعلومات التي يطرحها ، وهناك اعتبار اخر يبرر المرونة والتسامح يتمثل في رغبة الجميع باستمرار الحوار سواء في نطاق الموضوع ذاته او في موضوعات مستقبلية تفرزها

---

(١) د. احمد ابو زيد : هل مات داروين حقا ؟ ، مجلة العربي، ع ٢٨٤ يوليو (تموز) ١٩٨٢ الكويت ص ٦٨ .

وقائع التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعلمي والثقافي . اما الصورة النقيضة لهذه الحالة فتتمثل بالتزمت والتعصب والجمود وهي حالات لا تشجع على الحوار واذا جرى في ظلها فمآله الاخفاق حتما .

ثالثا : حسن الكلام

الكلام الحسن هو ما يجمل الانسان في نظر نظرائه . والكلام الحسن هو الكلام الذي يخدم الحقيقة ويكتب او ينطق بلغة مفهومة لا لبس فيها ولا غموض واذا تضمن الكلام نقدا لفكرة او جماعة او سياسة او فرع فليكن نقدا موضوعيا نزيها لاشائبة فيه واذا تكلمت او حاورت فردا ووصل الموضوع الى طريق مسدود او وصل الى حد ينذر بالخطر فمن اللزوم التوقف عن الكلام او الحوار. وهناك ضوابط نظامية اخرى يمكن استخراجها من حكم الشعوب ومن التراث العربي الاسلامي ، كما يأتي :-

١ – الكلام عمل صعب :

الكلام وفق رأي الحكيم المصري القديم « بتاح حتب » احب من اي عمل اخر .

٢ – ادنى الكلمات تتطلب التفكير

ولذلك قال (فيتاغورس) ان اقدم كلمتين واقصرها «نعم» و «لا» هما اكثر الكلمات تطلبا للتفكير .

٣ – الكلام للنفع والا فالسكوت اولى :

وقد اوصى (فرانكلين) بأن لا تنطق الا بما يفيدك او يفيد الاخرين ، وامتنع عن الكلام التافه « اما (فولتير) فقد ذهب الى انه اذا اردت ان تكون مملا فتحدث في كل شيء » وكتب التراث زاخرة بالحكم والامثال المتعلقة بضبط الكلام والتحكم به

من ذلك :

كما ان التكلم ادنى لبعض الرشاد فبعض التكلم ادنى للغيّ .

من نطق في غير خير فقد لغا ، ومن نظر في غير اعتبار فقد لها ، ومن سكت في غير فكر فقد لها .

الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع ، وان اكثرت منه صدع .

من حسن الادب : ان لا تقول مالا تعلم ، ولا تتعطى ماليس لك ولا يخالف لسانك ما في قلبك ، ولا قولك فعلك ، ولا تدع الاخر اذا اقبل ، ولا تطلبه اذا ادبر .

من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قل حياوءه ، ومن قل حياوءه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه .

يملك صاحب الكلام كلامه قبل النطق . ويملكه كلامه بعد النطق ولرب كلمة سلبت نعمة .

جعل الله لكل شيء بابين وجعل للسان اربعة : الشفتين مصراعين والاسنان مصراعين .

صد اللسان الا في اربعة : في الحق توضحه، وفي الباطل تدحضه، وفي النعمة تشكر لها، وفي الحكمة تظهرها .

٤ – الكلام مر الافيما لا ينغص اهل المجلس :

قال ابو يعقوب الخطابي لجلسائه :

انما اجتمعتم للادب لا بجوار ولا نسب ، فوفوه حقه ولا تثلبوا احدا فمن ثلب ثلب وإياكم والمراء في الاديان فأنها مفسدة بين الاخوان ونقص عند اهل الزمان وعليكم بالاصول ولا تكثروا فتملوا ، واستريحو الى ما يوافق من

الادب فإنه عض ابدا غير مملول ، ولا تتجاوزا في النموم قدر الحاجة فغاية الحاذق فيه معروفة .

وقال يعقوب الخطابي لجلسائه ايضا : اعفونا من ثلاث وخوضوا بعد فيما شئتم : من ذكر السلف ، وان تقولوا كان فلان خير من فلان ، ومن ذكر القدر .

٥ - قوة سلطة الكلام في موضعه :

قال « جورج تشابمان » ما اقوى النفوذ الذي تحدثه الكلمات في مواضعها الصحيحة وتأثير الكلام يبدو من هذه الواقعة : لما انشد ابو تمام قصيدته في « المعتصم » : السيف اصدق انباء من الكتب « : قال له : لقد جلوت عروسك يا ابا تمام فأحسنت جلاءها ، قال يا امير المؤمنين، والله لو كانت من الحور العين ، لكان حسن اصغائك اليها من اوفى مهورها » .

اوصى اعرابي ابنه قائلا : يا بني لا يكونن من خلقك ان تبتدئ حديثا ، ثم تقطعه وتقول (سوف) كأنك رؤت فيه بعد ابتدائك اياه . وليكن ترويك فيه قبل التفوهّ به، فأن احتجان الحديث بعد افتتاحه خطر فادح . يا بني : اخزن عقلك وكلامك الا عند اصابة الموضوع فإنه ليس في كل حين يحسن كل صواب . وانما اصابة الرأي او القول بإصابة الموضع فإن اخطأت ذلك ادخلت المحنة على عقلك ، وقولك متى تأتى في غير موضعه لابهاء ولا طلاوة له .

رابعاً : حسن الصمت والاصغاء :

الصمت هو السكوت اذا اعقب الكلام او هو عدم الكلام اذا حصل ابتداء ، بينما الاصغاء هو الاستماع . ويشتركان في اربع صفات هي : السكوت ، والانتباه ، وعدم مقاطعة الطرف الاخر في الحوار (المتكلم) ،

واستغراق الحالة : التفكير او التأمل والربط والمقارنة .

وفيما يلي بيان اهميتها في كتب التراث العربي الاسلامي .

أ – الصمت :

الصمت بالنسبة للحوار ليس موقفا سلبيا اي الامتناع عن الحوار وانما هو اجراء ايجابي في الحياة ولذلك قال (بول فاليري) ان كل ذرة من الصمت مناسبة لثمرة ناضجة .

١ – الصمت خطوة نحو الكلام الصائب :

قالت العرب : اذا اردت ان تقول الصواب في اللحظة المناسبة ، فعليت ان تسكت اغلب الوقت.

٢ – الصمت من اجل زيادة العلم والحلم :

قال حكيم عربي : « اذا جالست العلماء فأنصت لهم . واذا جالست الجهال فأنصت لهم ايضا ، ان في انصاتك للعلاء زيادة في العلم ، وفي انصاتك للجهال زيادة في الحلم » .

٣ – انصت من اجل السلامة :

كان اعرابي يجالس اشعب ، فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته فقال : اسمع فاسلم واسكت فأسلم .

ب – الاصغاء :

١ – الاصغاء ادب : قالت العرب :

رأس الادب كله الفهم والتفهم ، والاصغاء الى المتكلم » وجاء في كتاب الياقوتة في العلم والادب :–

من حسن الادب ان لا تغالب احداً على كلام ، واذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، واذا حدث بحديثٍ فلا تنازعه اياه ولا تقتحم عليه فيه » .

٢ - الاصغاء اولى من الكلام :

قال احد الحكماء العرب وهو يعظ من يتكلمون اكثر مما يسمعون ويفعلون انصف اذنيك من فمك، فإنما جعل الله لك اذنين اثنتين وفما واحد لتسمع اكثر مما تقول » .

٣ - حسن الاصغاء كحسن الكلام :

جاء في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، قال بعض الحكماء لابنه « يا بني : تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث ، وليعلم الناس انك احرص على ان تسمع منك على ان تقول ، فأحذر ان تسرع مالم تقل احرص منك على قول

مالم تفعل».

ختاما اقول ان الصمت والاصغاء دليل على الاهتمام بالاخر وبعكس ذلك يقترف الفرد عادة اللعب باللحية او الشارب او يطقطق بالسبحة او تظهر عليه علامات القلق او التثاؤب او يطرقع الاصابع او يتململ في جلسته او يتحرك بعد ثباته وكل هذه الحركات تشير الى فقدان الرغبة للاستفادة من ثمار الاصغاء والصمت او ان مقترفها يذهب هذا المذهب ليبين انه غير راغب بالاستماع.

خـــاتمـــــة

جولتنا في مضمار اخلاقيات الحوار ليست هينة بل كانت شاقة وذلك لان الموضوع متشعب ومتنوع . ونحن نطمح ان يكون لنا وعيا مستقلا عن الوعي النابع من الاخر وخصوصا وعي المصالح الدولية او الطبقية وهذا اذا كان مستمدا من التلقي او التلقين فإنه سيكون وعيا بائسا اما الوعي المطلوب فهو الوعي القائم على الحوار ومن هنا الاهمية الاستثنائية للحوار . ولا شك ان للحوار او النقاش او السجال او الكلام اداب لا يستقيم الا بها . وهذا هو الطرف الاول للمسألة ، فبدون الاقرار بالطابع

السلوكي الاخلاقي للحوار يصبح عملا عابثا ، وبما انه اداة للاتصال والتفاهم فإن الطابع العبثي ينتفي منه حيث الطبيعة او الهدف كذلك الحالة التي يشيع فيها الهزل التي لا تخلو من هدف توزيع الانشراح او المرح دون الانتقاص من كرامة الاخرين .

اما الطرف الثاني من مسألة الحوار ، وهو ما يمكن استشفافه ضمنا مما جرى بيانه ، ويتمثل في ضرورة الموضوعية في الحوار وهي صفة تعزز الطابع الاخلاقي للحوار .

ومن جهة ثانية ، فإن المجتمعات المتقدمة التي لديها تقاليد سياسية وفكرية في الديمقراطية تعرف اداب الحوار واخلاقياته بحكم الممارسة والتطبيق ، اما ما عدا ذلك من مجتمعات اخرى فليس أمامها سوى الميدان التربوي الذي يتكفل ببرامجه والياته بتنظيم هذه الحالة تنظيما انسانيا

رفيعا . فبدلا من انتظار قرنين او اكثر او اقل من السنين لاستقرار اوضاع « تقاليدية » تحكم سير النشاط الكلامي فإن اعداد تشريعات او مواثيق شرف او تقدم ندوات عبر التلفزة تلتزم باداب الحوار واخلاقياته وتقدم مثلا طيبا للجمهور هي من بين التدابير الضرورية لخلق حالة الحوار الذي لحمته النزعة الاخلاقية ، ووسداه النزعة العلمية الموضوعية .

وفيما يأتي ابرز المبادئ السلوكية التي تشكل ادابا للحوار الفعال :

١ – فن الاصغاء : الاصغاء للغير حين يتكلم بفارغ الصبر وبملء الارادة الحرة يعني احترام كلامه كما يدل على تحضر المصغي او المستمع ، ويترتب على الاصغاء .

أ– الانتباه والتركيز على ما يقوله القائل .

ب – الابتعاد عن المقاطعة اثناء الكلام ، فيجب ان تتاح فرصة الكلام للمتحدث كاملة غير منقوصة ثم لا ينطق المستمع الا بعد ان يدرك ان المتحدث يتيح له ذلك من خلال انتهائه من الكلام . ان عدم مراعاة واجب الاصغاء يعني تخلق المستمع بأخلاق التعصب وضيق الافق .

٢ – احترام اراء الغير : لكل انسان افكار واراء تشكل فلسفة حياته او نهج سلوكه او يعدها حكمة وجوده ومبرر موقفه الفكري . ويترتب على ذلك :

أ – انطلاقا من حرية الفكر والعقيدة ، لكل انسان حق اعتناق الفكر الذي يجده مشروعا او حقيقا بالاعتناق او جديرا بالدفاع عنه او قمينا بالتشبث به .

ب – للغير حق الدفاع عن فكره او وجهة نظره، فليس بكاف ان يعتنق الغير افكاراً ووجهات نظر محددة وانما تكون له المبررات او المسوغات التي تجعل من اعتناق هذا الفكر او ذلك عملا عقليا قائماً على الوعي المتكامل ويحضر المرء مقولة « فولتير » الشهيرة « قد اختلف معك في الرأي ، ولكنني مستعد ان اقدم حياتي من اجل الدفاع عن وجهة نظرك».

٣ – اتباع المنهجية العلمية في الحوار : اذا كان الحوار موضوعيا فيترتب عليه ما يأتي :–

أ – وضوح هدف الحوار قبل اجرائه .

ب – البدء من العموميات (الكليات) والانتهاء بالجزئيات (التفصيلات) ، او بالعكس اذا تطلب موضوع الحوار ذلك .

جـ – عدم مباشرة المستمع اي جواب او رد او تعقيب او مداخلة الا بعد ان ينتهي المحاور او المتحدث من كلامه وذلك لمقارعة الحجة بالحجة اول بأول ودون خلط بالاوراق او احداث بلبلة في المواقف او العرض الحواري.

٤ – الالتزام بالموضوعات دون الاشخاص ، اذ يبقى الحوار مستمرا على مستوى الافكار او المواد او القضايا او المسائل المطروحة ، فرأي طه حسين – مثلا – يناقش كما هو ولا تهم بعد ذلك حياته او انشطته او اسراره او خفاياه . كذلك الكاتب الاوربي يناقش كما هو مسيحيا كان ام يهوديا ام ملحدا ، فالتشهير وثلم السمعة هي سلاح العاجز في مقارعة الحجة بالحجة . وكلما كان المتحدث او المحاور اميل الى الكشف عن اسرار شخصية او

فضائح عائلية او سلوكية او مواقف شخصية يحتدم النقاش الاخلاقي بشأنها يعني ان الحوار ليس حواراً علمياً او فعالا وانما هو ثرثرة لا اخلاقية.

ان ولع المتحدث بكشف اسرار شخصية لغرض التمويه عن مواقف سياسية او فكرية يفيد افلاسه في التبحر بقضايا السياسة او الفكر . ومثل هذا الفرد ليس جديرا بالاصغاء لسبب بسيط مفاده انه لا يهتم الا بالتوافه التي تدل على وجود مركب نقص نفسي لديه ، فمن عزاء الفاشلين قدح سلوك الناجحين او التنقيب عن اخطاء العظماء . ان النيل من الاخرين لنهج ذميم ومسلك محرم ، ومن يتعاطى ذلك لا يتورع عن ذم كل الناس فهذه عادة متاتية من شعوره بالنقص .

اولاً – الاستنتاجات

١ – الحوار حاجة علمية وضرورة فكرية لفرض اللحاق بركب العالم المتقدم و الاستثراء من معطياته المتعددة والمتنوعة والحوار الدائم طريق للنهضة والتخلص من كثير من المثالب والتخلف بواسطة تحديد الواقع تحديدا دقيقا سواء بموارده او بعوائقه ورسم الاهداف والسياسات والبرامج .

٢ – غياب الحوار او رفضه يعني زيادة في التخبط والتخلف والعزلة اجتماعيا وحضاريا اضافة الى صيرورة العقل منغلقا جامدا وتجاهل القدرات العقلية لدى البعض ووأدها لدى البعض الاخر فالحوار يمدنا بالقدرة على اصطياد الافكار البناءة ويمكن تعريضها – عن طريق الحوار – للشك الديكارتي (او الشك الغزالي) لغرض بيان مدى

اصالتها او جدتها .

اذن الخوف من الحوار خوف من الحقيقة ورفض فهم الواقع في اطار الياته الفاعلة . وهناك من يذهب هذا المذهب بحجة الثبات على المبدأ وهي معزوفة للتعصب والتخلي عن الحوار .

٣ - ان الحوار او الجدال الموضوعي يمنع من بروز ظاهرة التطرف السياسي او الديني ، اذ يفهم كل طرف - من خلال الحوار - حقيقية موقفة دون مغالاة او محاولة فرض الرأي على الاخرين ، فالتطرف تحجر ، والتحجر انغلاق ، والانغلاق موت الفكر والحياة .

٤ - ان الحوار ليس حلبة ملاكمة يطرح المحاور زميله ارضا كاسبا الجولة بالضربة القاضية عن طريق السخرية او النقد الهدام او التطاول على شخصه

او سمعته او تاريخه الشخصي او العائلي وانما هو عملية تستفيد منها كل الاطراف فاحدهما سيستلم معلومات جديدة او حقائق كانت خافية عليه والاخر تتاح له فرصة « تسويق » افكاره والترويج لمبادئه .

٥ – ان الحوار يعني التخلي عن سياسة (ان الاخر خاطئ وانا المحق الوحيد) او (انا على صواب وغيري على ضلال) وانما يعرض كل طرف افكاره بترتيب وموضوعية ونزاهة دون انفعال لغرض ان يفهم الاخر الفكرة او العقيدة بمنتهى الهدوء والرويّة .

٦ – فتح ابواب الحوار دون ضوابط نظامية او منهجية علمية مستقاة من اصول اخلاقية تعد سياسة خاطئة وانما الضوابط من الضرورة ان ترسم

(بالضمة على التاء وفتح السين) كالآتي :

- الاقبال على الحوار بصدر رحب وتفاؤل وتسامح.

- الرد يكون الحجة بالحجة والدليل بالدليل .

- التحلي بالنزاهة والموضوعية في عرض الافكار وفي مناقشتها .

- النهج الذي يتضمن الطعن في السلوك الشخصي ماضيا او حاضرا ليس حوارا وانما هو عدوان لئيم . والحوار اللااخلاقي يتحول الى عداوة لانه ينطوي على التجريح والرغبة في تحطيم الاخر .

٧ - لكل مقام مقال : وهذا يعني (الابتعاد عن الكلام في غير موضعه) او الكلام فيما لا يعني الشخص

ويكون بمثابة غيبة او نميمة او الخوض فيما يعد جهلا بالحرفة .

٨ – من المخاطر الكبرى للحوار بعد التعصب ، الرأي المسبق ، ويعني ان المحاور قد اصدر حكمها قبل الحوار ، بينما الحوار يفحص سلامة المعلومة او دقة الحقيقة ويصدر بعدها الحكم الموضوعي ، وغالبا ما يكون الرأي المسبق رايا شخصيا او رأي منافق او كذاب روجه للغير واعتنقه هذا بحسن نية.

٩ – الديمقراطية – من زاوية الحوار – هي نظام للعدالة الفكرية .

١٠ – الحوار الموضوعي هو الذي يجري حول فكر الكاتب او المفكر ولاخوض في شخصه او اسراره فالاخير سياسة الذين اخفقوا في عالم

الابداع فوجدوا انفسهم - من باب الحسد - يتطاولون على المبدعين دون حياء .

ثانياً - المقترحات

١ - من الضرورة ان يبدأ الحوار بداية صحيحة فبعد تحديد الهدف يكون الحوار مبتدئا من تحليل الواقع وتحديد المنهج المستخدم في الحوار (تحديد المفاهيم والمصطلحات).

٢ - ضرورة الكلام الهادئ ، البطيء ، الواضح ، اما الكلام المتشنج او الصراخ العالي او الكلام السريع كرصاص المسدس فهو اسوأ انواع الحوار .

٣ - ضرورة الحوار اولا مع الشلة او الجماعة المنتمية للرأي نفسه او العقيدة ذاتها فهو افضل طريقة للانفتاح والحوار مع الاخرين ، اذ ان الحوار الذاتي

(طالما كان مع معتنقي الايدلوجية الواحدة) حوار مثمر يهدف الى سبك الرأي وترصين العقيدة . ويلاحظ ان الجماعات السياسية او الفكرية التي تفتقر الى الديمقراطية الداخلية في تنظيمها الخاص يصبح اعضاؤها بائسين فكريا وثقافيا ويمكن عدهم معوقي حوار !! .

٤ – اذا كان المحاور الاخر يلتزم بمبدأ الرجوع عن الخطأ فضيلة ، فيمكن مواصلة الحوار معه ، اما اذا كان عنيدا دون مسوغ فكري مشروع ، او جاهلا بليدا فان مواصلة الحوار معه ضرب من العبث مما يتنزه عنه العاقل .

٥ – يمكن تعلم الكثير من الحوارات الواردة في كتب التراث العربي الاسلامي ، كما يمكن الاستفادة فائدة عظمى من حوارات الفيلسوف

افلاطون ، فهي مدرسة للحوار المنطقي الموضوعي الرصين .

٦ – كلما اقبلت الاقطار العربية بنظمها السياسية على الديمقراطية الليبرالية كان الحوار فيها خصيبا ومثمرا ومتنوعا وفعالا ، فهذا هو المناخ الذي يزدهر في ظله الحوار الموضوعي وتنمو المهارات العقلية في الحوار .

٧ – من الضرورة الايمان الصادق والجاد بان كل شيء قابل للحوار ، وحق الرد من الضرورة ان يكفل للجميع على قدم المساوة . وباب الاجتهاد في كل القضايا يتعين ان يكون مشرعا دائما .

المحتويات

اخلاقيات الحوار

يبدو لي ان مجتمعات الوطن بحاجة قصوى الى الحوار العلمي لمعالجة ازمات ومشكلات واستشراف مستقبلاتها وافاق تطورها . ولن يصبح هذا الحوارمجديا وفعالا الا اذا ادركنا بعمق اصوله واخلاقياته ، فالمسائل الشكلية تعد احيانا جزءا لا يتجزأ من المسائل الموضوعية والمضمون الفكري .

في ضوء هذا الادراك المعرفي ، آليت على نفسي ان اقدم كل ما يضعنا على الطريق الصحيح من التقدم الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي .

المؤلف



الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع
عمان - الاردن

التوزيع : المركز العربي لتوزيع المطبوعات ش.م.م
بيروت - لبنان